

# نظرية الاتحاد والحلول

## عند الحلاج

آراء وموقف

محمد رضا

### نبذة عن حياته

ولد في بيضاء فارس , نشأ في بلدة شوشتر, تلمذ فيها على يد سهل بن عبد الله قدس سره . بعد مضي ثمانية عشرة سنة من عمره سافر الى بغداد ليعيش حياته متنقلا من بلد الى بلد.

وبعد زيارة البيت الحرام عاد من جديد الى شوشتر ومكث فيها سنة إلا أنه تعرض للحسد من ابناء زمانه فاضطر للرحيل الى بلاد خراسان, ثم رجع الى فارس, ومنها الى الاهواز, وفيها اظهر الكرامات وافشى ما اختلج في ضمائر الناس فلقب بحلاج الاسرار . من جديد قصد مكة وبعدها سافر الى بلاد الهند والترك وفي تلك البلاد دعا الى الاسلام. ثم عاد الى مكة وطاف ليعود الى بغداد, فتغير عليه جماعة من العلماء القشر كمحمد بن داود والقاضي ابي عمر محمد بن يوسف وحرفوا عنه الخليفة ووزيره حامد بن العباس حسدا كما هو ديدن علماء السوء من اصحاب الغرض والحسد فكل عصر فصنعوا محاضر وصكوكا لباحة قتله وعرضها على الخليفة فحكم عليه اولا بضربه ألف درة ثم بقطع رجله ويديه ثم صلبه عام 309 هجري. اقولوني , اقولوني يا ثقة إن في قتلي حياة حياة.<sup>1</sup>

### الاتحاد والحلول

المعنى الاصطلاحي:

الاتحاد: هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود به فيتحد الكل به في هذا المشهد من حيث كل شئ موجودا به معدوما بنفسه لامن حيث أن له وجودا خاصا إتحد به.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - محبوب القلوب- المقالة الثانية- في أحوال حكماء الاسلام والعلماء الاعلام الكرام ممن لهم الاعتناء بشأنهم والاعتبار بكلامهم- تأليف قطب الدين محمد بن الشيخ علي الاشكوري الديلمي اللاهيجي- تقديم وتصحيح الدكتور حامد صدقي والدكتور ابراهيم الديباجي, ص 539- الناشر: ميراث مكتوب- مطبعة ورداد , طهران.  
<sup>2</sup> الجرجاني التعريفات, ص 6.

الحلول: حلول الالهية بالبشرية, أو البشرية بالألوهية<sup>3</sup>.

### إضاءة على نظرية الاتحاد والحلول

يظهر في العديد من الابيات التي كان يقولها الحلاج في الحلول والاتحاد والامتزاج مع اللهوحالة الفناء التي يعيشها, أنه لم يعد له وجود, بل وجوده ووجود الألوهية صار واحدا, ولا تفريق بينهما. وفي ما يلي نورد بعض هذه الاقوال.

أقواله في فئائه وحلوله: (يا أيها الظان لا تحسب أي أنا الآن, أو يكون أو كان, كأني هذا الجلد العارف وهذا حالي, لا بأس إن كنت أنا, ولكن لا أنا)<sup>4</sup>. ويقول: (أنا انت بلا شك فسبحانك سبحاني)

ويقول: توحيديك توحيدي وعصيانك عصياني

ويقول: رأيت ربي بعين قلبي ... فقلت ومن أنت؟ فقلت: من أنت؟ قال: أنت فليس للأين منك أين ... وليس أين بحيث أنت.<sup>5</sup>

وقد قال مصرحا عن فئائه عن ذاته وعن حلول محبوبه فيه:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا ... فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا<sup>6</sup>.

أما إظهاره للحلول فقد قال: سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب ... ثم ظهر في خلقه ظاهرا... في صورة الأكل أو الشارب حتى عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب.

مزجت روحك في روحي ... كما تمزج الحمرة بالماء الزلال ... فاذا مسك شيء مسني ... فإذا أنت أنا في كل الاحوال.<sup>7</sup>

### تبيان وتوضيح نظرية الاتحاد والحلول.

إن المتصوف في حالة اتصاله لا يجد الألفاظ الملائمة للغرض ومن هنا يصبح كلامه غريبا وقد قالوا: كلما إتسعت الرؤيا ضاقت العبارة. وكما يقال أن الشطح عند الصوفية يأتي بصيغة المتكلم بغير شعور منه بذلك, وهذا يعني أنه

<sup>3</sup> مدخل الى التصوف, ابو الوفا الغنيمي التفتازي, ص 123.

<sup>4</sup> الحلاج الطواسين, اعداد رضوان السح وعبد الرزاق الاصفر دار الينابيع ص 138.

<sup>5</sup> أخبار الحلاج, ص 56.

<sup>6</sup> ابن خلكان, وفيات الاعيان ص 184.

<sup>7</sup> ابن الكثير البداية والنهاية, ص 133.

فنى عن ذاته وبقي بشهود الحضرة فنطق بلسانها. لذا فإن الحلاج أدرك أن الناس وقعت بالالتباس والشك فقام بالتوضيح بشكل واضح وصريح محذراً المتوهمين والمرييين والشاكين فيقول: "من ظن أن الألوهية تمتزج بالبشرية، أو البشرية تمتزج بالألوهية فقد كفر، فإن الله تعالى تفرد بذاته وصفاته، فلا يشبههم بوجه من الوجوه، ولا يشبهونه بشيء من الأشياء، وكيف يتصور الشبه بين القديم والمحدث.<sup>8</sup> . ويقول: "معرفته توحيد، وتوحيده تمييزه من خلقه، ما يتصور في الاوهام فهو بخلافه، كيف يحل به ما منه بد، او يعود اليه ما هو أنشأه<sup>9</sup>. ويقول أيضاً: "مع أن ناسوتي مستهلكة في لاهوتيتك غير ممازجة إياها، ولاهوتيتك مستولية على ناسوتي غير مماثلة لها"<sup>10</sup>.

ولذلك نجده يملئ عقيدته على تلاميذه فيقول: "إن الله تبارك وتعالى وله الحمد ذات واحدة، قائم بنفسه متفرد عن غيره بقدمه، متوحد عن سواه بربوبيته، ولا يمازجه شيء، ولا يخالطه غيره، ولا يحويه مكان، ولا يدركه زمان، ولا تقدره فكرة، ولا تصوره خطرة، ولا تدركه نظرة، ولا تعتره فترة"<sup>11</sup> .

وبين الحلاج أن ما يحصل للأولياء من الكشف والتجلي في أحوال الفناء لا يخرجهم عن هذه العقيدة الصحيحة أبداً، وإنما ظهر وتجلي لأولياته، فتجلي لمخلوقاته فصاروا لا يرون شيئاً حتى يروا الله معه، لا على سبيل الاشتراك، بل ظهر لهم في الأشياء كلها كما ظهر الصانع في مصنوعاته"<sup>12</sup> . وهذا ما جعله يقول: "ما انفصلت البشرية عنه، ولا اتصلت به"<sup>13</sup>.

ولذلك نجده يقول عن سبب قوله: (أنا الحق): "يا قوم لما أخذني مني، وسلبني عني، تلاشت أوصاف حدتي لما ظهر سلطان قدمه، فكان الحدت كأن لم يكن، وبقي القدم كأن لم يزل، ثم فنيت إني في إنيته، وذابت هويتي في هويته، وتلاشت ناسوتي في لاهوتيته، ثم نظرت منه إليه فلم أر إلا هو، وسمعت منه عنه فلم أسمع إلا هو، ونطقت له به فعلمت أن ليس هو إلا هو، فقلت: أنا هو. ولئن قلت: أنا الحق، فما عدلت عن الحق؛ لأني أنا الحق في محبته، وهو الحق في مملكته، ولئن كان سكري ثم على سري، فقد عربد وجددي على وجودي، وجعل حددي محو حدودي"<sup>14</sup>.

## آراء حول الحلاج:

### أ- آراء حكمت على الحلاج بالكفر والزندقة :

اعتبر مجموعة من أصحاب الرأي أن كفر الحلاج حقيقة لا لبس فيها، فالرجل أمضى ردهاً طويلاً من عمره مقراً بالكفر ومدافعاً عنه، حيث أصر على التمسك بهذا الكفر ورفض جميع المحاولات لتوبته. وادعى هؤلاء أنه في مواضع غير قليلة من مؤلفاته تجد التيقن من صحة ما ذهب إليه الأولون من تكفيره، حيث أقر بكونه مجرد تلميذ في

<sup>8</sup> أخبار الحلاج، ص 72.

<sup>9</sup> أخبار الحلاج، ص 66.

<sup>10</sup> أخبار الحلاج، ص 123.

<sup>11</sup> أخبار الحلاج، ص 64.

<sup>12</sup> أخبار الحلاج، ص 64.

<sup>13</sup> أخبار الحلاج، ص 52.

<sup>14</sup> أخبار الحلاج، ص 126.

حضرة كل من فرعون وإبليس من جهة تحديهما لإرادته سبحانه تعالى: (تناظرتُ مع إبليس وفرعون في الفتوة، فقال إبليس: إن سجدت سقط عني اسم الفتوة، وقال فرعون: إن آمنت برسوله سقطتُ من منزلة الفتوة... فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون، وإبليس هُدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يُقر بالواسطة البتة، وإن قُتلتُ أو صلبتُ أو قطعت يداي ورجلاي ما رجعت عن دعواي)<sup>15</sup>، وهي أقوال تدحض آراء كل من دافعوا عنه أو اعتبروه قتل مظلوماً. معتبرين أنه حصيلة الجذور الفارسية والتربية الهندية والنشأة في أحضان الثقافة المسيحية، كما أنه حصيلة للمدارس المختلفة بشكل انتج مسخاً. (كفرت بدين الله والكفر واجب علي وعند المسلمين قبيحاً ح.16)

ومن أدلة اصحاب هذا الرأي قول الحلاج: (أنا الله، وأمر زوجة ابنه بالسجود له، فقالت: أو يسجد لغير الله؟ فقال: إله في السماء وإله في الأرض)، ناهيك عن قوله ودفاعه المستميت عن نظرية الحلول والاتحاد، بمعنى أن الله قد حل فيه وصار هو الله شيئاً واحداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل تأكيده بقدرته على تأليف القرآن الكريم. وثم استمرت الشطحات حينما تكلم باللاهوت والناسوت كما يفعل النصارى، (سبحان من أظهر ناسوته سر لاهوته الثاقب، ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الأكل والشارب)<sup>17</sup>.

ابن تيمية: (من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل فيها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين، فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد، كقوله: إله في السماء وإله في الأرض...، والحلاج كانت له مخاريق وأنواع من السحر، وله كتب منسوبة إليه في السحر، وبالجملة فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر واتحاده به وأن البشر يكون إلهاً وهذا من الآلهة؛ فهو كافر مباح الدم، وعلى ذلك قتل الحلاج)<sup>18</sup>.

وتبعه في نفس الحكم ابن الجوزي: (اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج، فأول من قال: إنه حلال الدم أبو عمر القاضي وواقفه العلماء، وإنما سكوت عنه أبو العباس بن سريج قال: وقال: لا أدري ما يقول، والإجماع معصوم من الخطأ)<sup>19</sup>.

15- الطواسين، ص (50).

16- ديوان الحلاج، ص (130).

17- تاريخ البغدادي، ص (135).

18- مجموع الفتاوى ابن تيمية، جزء 2، ص (480).

19- تلبس إبليس، ابن الجوزي، ص (166)

20 - محبوب القلوب- المقالة الثانية- في أحوال حكماء الاسلام والعلماء الاعلام الكرام- تأليف قطب الدين محمد بن الشيخ علي الاشكوري الديلمي اللاهيجي- تقديم وتصحيح الدكتور حامد صدقي والدكتور ابراهيم الديباجي . الناشر: ميراث مكتوب- مطبعة ورداد , طهران. ص 539.

## ب- آراء حكمت عليه أنه من أهل الفناء.

اعتبر جمع من العلماء أن الحلاج قتل بسبب حبه وولائه لأهل البيت واصفين إياه حلاج الاسرار وكشاف الاستار , وأنه من السلاك وأنه وصل الى مقام الطمس الذي يسمى بالاتصال والفناء, كما ينقل: (قطب الدين محمد بن الشيخ على الاشكوري الديلمي اللاهيجي في كتاب مجالس المؤمنين أنه رايت في كتاب معتبر أن حسين بن منصور دعا الناس لمتابعة مولانا صاحب الامر سلام الله عليه وقال للناس أن الصاحب يخرج عن قريب من "طلقان ديلم" فاسمعوا الخليفة كلامي فأمر بإحضاره في دار الخلافة فنسبوا الكفر والزندقة وقتلوه)

وفيما ويوصف الحلاج بالاتحاد قال ابن الجمهور في كتابه المحلي, (إن النفس اذا اتصلت ببعض الانوار المجردة في بعض الخلاسات والانخلاع عن البدن فلقوها ما يلحقها من الابتهاجات العقلية والالتذاذات الروحانية وشدة الاشرافات النورية تغيب عن ذاتها وشعورها بذاتها ويستولي عليها سلطان الانوار المجردة العقلية فتتفنى حينئذ عن ذاتها).<sup>20</sup>

ويعبرون عن هذه الحالة بالاتحاد فاذا وصل السالك الى هذا المقام وتلاشى نوره الاضعف في النور الاشد الاقوى وسكر بلذات الانوار القاهرة وصارت تلك الانوار المجردة مظاهر تلك النفوس الناطقة المتصلة بما فلا ترى النفس التي هذا حالها إلا المظهر فتتطق بلسان ج اذلك المظهر, حتى أن حسين بن منصور "الحلاج" لما وصل الى هذا المقام دعا الله تعالى - فقال يا ربي إنيتي تباعدني, فارفع بإنيتك إنيتي. فاستجاب الله دعاءه, فقال: أنا الحق<sup>21</sup>.

يقول الغزالي: ومن أول الطريق يبتدئ المكاشفات والمشاهدات, ثم يترقى في الحال إلى درجات يضيق معها نطق النطق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكن الاحتراز عنه, وعلى الجملة ينتهي الأمر الى قرب يكاد يتخيل طائفة منه الحلول وطائفة الاتحاد ثم أن الغزالي يعذر الحلاج في شطحاته من خلال موقفه من شطحات الصوفية وبيان تفسير حدوثها فيقول: "وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحال فناء, بل فناء الفناء, لأنه فني عن نفسه وفني عن فنائه، فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه، ولو شعر بعدم

شعوره بنفسه، لكان قد شعر بنفسه، وتسمى هذه الحال بالإضافة إلى المستغرق فيها بلسان المجاز اتحاداً، ولسان الحقيقة توحيداً، ووراء هذه الحقائق لسان المجاز اتحاداً، ولسان الحقيقة توحيداً، ووراء هذه الحقائق وكل ذلك خطأ.<sup>22</sup>

#### الخاتمة:

رغم الاختلاف الحاد حول كيفية مقارنة حياة وفكر "الحلاج" إلا أن الرجل أضاف إلى العلوم والمفاهيم الإسلامية، مفهوماً جديداً، بقى عبر العصور مثار بحث ودراسة، وكان مدماكاً وأساساً فكرياً لفتة من المسلمين "المتصوفة" وأي يمكن التقييم بحقه، غير أن الثابت هو خلود اسمه، وانتقال فكره من جيل إلى جيل، سواء بالمعرفة النظرية أو الافادة العملية.

---

<sup>22</sup> المنقذ من الضلال ص (50)